**جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة السنة الجامعية: 2023/2024**

**كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية**

**قسم التاريخ**

**السنة الأولى ماستر**

**التخصص: المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية.**

**المقياس: الحملة الفرنسية العسكرية على الجزائر سنة 1830م.**

**الأستاذة: فتيحة صحراوي**

**المحاضرة السادسة: المقاومة المسلحة الرسمية وتسليم القصبة**

**1- الإنزال الفرنسي بسيدي فرج، والمقاومة المسلحة:**

ما أن وصلت القوات الفرنسية إلى سيدي فرج يوم 14/06/1830م، حتى شرعت في الإنزال مستخدمة زوارق إنزال؛ فأرسلت المدافع الجزائرية طلقات إشارة للمقيمين حول المدينة تأهبا لها.

في هذه الفترة كان الداي، يعاني مشاكل محلية أهمها محاولة قتله من طرف أنصار الأغا يحيى الذي أمر بقتله سنة 1827م، كذلك قلة عدد جيشه النظامي الذي لم يكن يتجاوز 6000 رجل، أيضا بعض المناوشات التي ظهرت بين الأهالي والإنكشارية، وقد نصح الداي الجند بغض النظر عنها، وأنه بحاجة إلى توحيد الصفوف في مثل هذه الظروف.

كانت قيادة الجيش بيد إبراهيم أغا صهر الداي حسين، ولم يكن كسابقه يحيى أغا الذي كان محبوبا من الجيش والعرب، وشارك في معارك كثيرة، أكسبته خبرة،وكفاءة، وغيرها من الميزات الحسنة التي كان يتحلى بها.

يقول حمدان خوجة أن الداي سلّم لصهره مبالغ مالية كثيرة ليوزعها على المحاربين، تحفيزا، وتشجيعا لهم على الصمود والمقاومة، غير أن الأغا، لم يعط شيئا لمن وجه لهم الداي تلك الأموال، كما وعد الداي بتسليم مبلغ من المال قدره 500 فرنك لكل جزائري يحمل إ‘ليه رأس عدو، إلا أن صهره لم يدفع لهم شيئا، وكان يعدهم بدفع المبلغ بعد نهاية المعركة، وصدق المثل القائل: أحييني اليوم، وقتلني غدا؟

مهما يكن من أمر فقد اتجه الأغا إبراهيم إلى سيدي فرج، وقد تم الاستيلاء على هذه الأخيرة، بعد مقاومة ضعيفة من طرف الجزائريين، وشرعت الفرق العسكرية الفرنسية، بإنزال العتاد، ومختلف التجهيزات الأخرى، وجعلت القيادة العامة من ضريح الولي الصالح سيدي فرج مركزا للمراقبة، وجعل القائد العام للقوات الجنرال دو بورمون من المسجد إقامة له، ومكتبا لتوزيع أوامره، وتعليماته.

وصل خبر إلى الداي حسين، من طرف صهره، يخبره أن الفرنسيين حطموا حامية سيدي فرج تماما، وأنهم نزلوا إلى البر على الرغم من المقاومة الشديدة، فأمر الداي بالانسحاب إلى هضبة سطاوالي، حتى تأتي النجدة من البايات والمشايخ.

وصلت قوات باي قسنطينة مع 13000محارب، وأرسل باي وهران خليفته لتقدم سنه رفقة 6000 محارب، أما باي التيطري فقد أتى رفقة 8000 محارب، أوفد شيوخ القبائل ما بين 16000 و18000، ومن ميزاب 4000 محارب.

اجتمعت القوات الجزائرية في معسكر سطاوالي (سطح الوالي)، وقد اقترح أحمد باي على الأغا إبراهيم توزيع هذه القوات، وجعل جزء منها غرب سيدي فرج، حماية للعاصمة، وقد رفض الأغا هذا الاقتراح.

يوم 19 جوان 1830م، التقى الجيشان، وكانت دهشة الداي كبيرة لما سمع بانهزام الجيش الجزائري بقيادة صهره، وهروب هذا الأخير من ساحة المعركة، وظن الداي أن هزيمة الأغا، أثرت في معنوياته، فأوفد له حمدان خوجة للرفع منها، وتحميسه على مواصلة الجهاد، إلا أن حمدان وجده منكسر القلب، وخائف، وأقنعه بمواصلة المشوار بشق الأنفس، إلا أن الأغا إبراهيم، اختفى من جديد عند تقدم الجيش الفرنسي نحو العاصمة.

إن حمدان خوجة، وهو أحد المعاصرين للداي، وشاهد عيان على الأحداث الأخيرة، يلوم كثيرا الداي حسين على توليه قيادة الجيش لصهره إبراهيم، ويعتبر ذلك ذنبا لا يغتفر؟ يقول حمدان: "... إن حسين هو الذي عزل القائد يحي وعين خلفا له قائدا جاء ليحارب فرنسا بدون جيش منظم، وبدون ذخيرة، وبدون مؤونة، وبدون شعير للخيل، وبدون المقدرة الضرورية على مواجهة الحرب...".

بعد هزيمة سطاوالي (سطرح الوالي) اجتمع الداي بالبايات، لإعادة تنظيم القوات المشتتة، وتجديد المؤونة، وتعمير قلعة مولاي حسن أو ما تسمى بقلعة الإمبراطور (تقع قاعة الإمبراطور على نعد 1225مترا من القصبة، بنيت في القرن الخامس عشر ، في المكان الذي نصب فيه الإمبراطور شارل كان سنة 1514م خيمته، بنيت لإقامة الجنود، ويقال أنها بنيت بمواد ليست مناسبة، وبدون أسس، كانت محاطة بفيلات، وبساتين، فر أصحابها لما اقترب وصول الفرنسيين) ، واتفق الجميع على تجهيز الجيش والخروج إلى القتال، وأرسل الزهار لجرد ما يوجد بالقلعة، وفي هذا الصدد يقول: "... وجدت به 10مدافع صغيرة، ونحو القنطارين من البارود، وما يقارب المايتي كورة(يقصد بها القذائف)..."، عين الداي مصطفى بومزراق باي التيطري خلفا للأغا إبراهيم، وطلب الداي حسين من المفتي العنابي أن يجمع الناس للدفاع عن البلاد، إلا أن الرجل، رجل علم وفتوى، ولا يصلح أن يكون رجل حرب.

قبل الاستيلاء على قلعة الإمبراطور، كانت تحدث مناوشات بين الطرفين، دامت أربعة أيام، حيث تمكن الفرنسيون من حفر الخنادق حول القلعة، ونصبو المدافع لمواجهتها، وفي اليوم الثالث من شهر جويلية 1830م، اقترب الأسطول الفرنسي من الميناء، حيث وقع تبادل للقصف بين سفن العدو، وقلاع مدينة الجزائر، ابتعد فيها الأسطول الفرنسي، ويذكر أن سبب تراجع الأسطول يعود إلى سوء الأحوال الجوية، إلا أن شريف الزهار يؤكد أن سبب تراجع الأسطول الفرنسي يرجع الى قوة المدفعية الجزائرية.

لقد أكد القنصل الإنجليزي بالجزائر أن المقاومة الحقيقية التي واجهت الفرنسيين قبل استيلائهم على مدينة الجزائر كانت من سكان الجبال الذين نزلوا إلى المتيجة لمواجهة العدو، وكان ذلك في معركة قلعة الإمبراطور.

بعد قتال كبير بين الطرفين، سقط على إثره قتلى من الجانبين، اشتد الأمر على الجزائريين، فمنهم من هرب، ومنهم من انتحر...الخ، وبقي الخزناجي مصطفى الذي وضعه الداي للمراقبة هناك، فغوى شخصا بإعطائه مالا لتفجير مخزن البارود ففعل، فتهدمت القلعة، ويذكر حمدان خوجة أن الانفجار وقع في المستودع الصغير، ولو كان في آخر أكبر منه لذهبت مدينة الجزائر كلها.

بعد الاستيلاء على قلعة مولاي حسن يقول بفايفر سارع الأهالي ليقنعوا الداي على الاستسلام، لكن الظاهر أن حسين باشا كان الوحيد الذي لم يجد الخوف إلى قلبه سبيلا، ورد رعاياه قائلا:"...إن حسين باشا لن يتفاوض مع الفرنسيين ما وجدت القصبة، لأنّي لأفضل أن أنسف القصبة والمدينة كلها على أن أخطوا خطوة كهذه...".

إذن إذا كان إصرار الداي على التمسك بالقصبة، والدفاع عنها، فماذا حدث بعد ذلك؟.

**2- معاهدة الاستسلام وتسليم القصبة:**

بعد استيلاء الفرنسيين على قلعة الإمبراطور، جمع الداي حسين سائر الأمناء، والأعيان، ورجال القانون، والفقه...الخ، وشرح لهم الوضع الخطير الذي آلت إليه البلاد، استشارهم في الخيار بين الأمرين: مقاومة الفرنسيين، ونسب النجاح ضئيلة جدا؟، للخسائر التي تكبدتها الجزائر، أو تسليم المدينة بمعاهدة، تجنب إراقة الدماء، وتضمن أملاكهم وشعائرهم.

فهل كان الداي يبحث عن ضمان لحريته وعائلته ، وثروته؟

أجابه الحاضرون بأنهم سيحاربون إلى أن يستشهدوا عن آخرهم، غير أنه إذا رأى سموكم (الداي)، وسائل أخرى فأنك حر في أن تعمل ما تراه صالحا...".

هذا الموقف يدل على تحليه بمبدأ المشورة والديمقراطية، واستشارته لجميع الطبقات قبل اتخاذ أي موقف، ولم يكن استبداديا في أخذ قراراته، لو أراد أن يفاوض الفرنسيون وحده لفعل، ولا يجرأ أحد على معارضته؟

بدأت بوادر الانهزام تدب في صف الجهاز الإداري والاجتماعي، فاجتمع عدد من أعيان البلاد في باب البحرية، وقد كانوا من كبار التجار وأصحاب المال، وأكدوا أن البلاد ستضيع، وتفاديا لإراقة الدماء، فضلوا اقتراح الداي الثاني، وهو توقيع معاهدة للاستسلام، مع قائد الجيش الفرنسي، وكان اعتقادهم، أن امة شريفة ونبيلة مثل فرنسا، لا يمكن أن تخلف وعودها.

أبلغوا الداي بما اتفقوا عليه، ووافقهم على ذلك، فأوفد أحمد بوضربة، وحاج حسين بن سي حمدان، وهما يتكلمان الفرنسية، وكان إلى جانبهما القنصل الإنجليزي باعتباره صديقا للدي، وقد صرح بأنه لم يأتي كموظف لدى الحكومة الانجليزية، وإنما أت لوقف إراقة الدماء، والحيلولة دون أن يخرب الداي جزء من المدينة.

تم التوقيع على معاهدة مدينة الجزائر أو ما يعرف باتفاقية الاستسلام بين الداي حسين والقائد الفرنسي دو بورمون يوم 05/ 07/ 1830م، ومما جاء في بنودها: تسليم جميع حصون المدينة والميناء للقوات الفرنسية قبل الساعة العاشرة، في 5 جويلية 1830م، وضمان الفرنسيين للثروات الشخصية للداي والمليشيا التركية...الخ.

هدفنا الوحيد هو معاقبة الداي حسين لأنه أهان شرفنا، هكذا كان يقول الفرنسيون؟

هدفي هو حماية دار الإسلام، ولن أنبطح لفرنسا ما حيت، هكذا كان يقول الداي حسين.

أمام إدعاء فرنسا الكاذب، التي طالما فكرت في استعمار الجزائر ونهب خيراتها، وتقييد حرية سكانها وهذا ما أكدته فور احتلالها.

وأمام ضعف قوة الداي العسكرية، والدسائس التي كانت تحاك ضده لضرب جهازه الإداري، فضل الداي الرحيل تاركا وراءه شعبا يحلم بلحظة واحدة من الحرية، حرم منها ما يزيد عن 132سنة مقيدا بغلال المستعمر المدمر؟